تفسير القرآن الكريم

سورة العنكبوت ٩-٨-١٤٠٣ ٤

دراسات الأستاذ:

مهدي الهادوي الطهراني

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم(١)

سورة العنكبوت

أَ حَسِبَ النَّاسُ أَن يُترَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢)

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)

سورة العنكبوت

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ
أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(۴)

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

- ثم قال تعالى ممدداً لخلقه «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا» اى أَ يظن الذَين يفعلون القبائح وَ المعاصَى ان يفوتونا؟! كما يفوت السابق لغيره.
- ثم قال «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» اى بئس الشىء الذى يحكمون بظنهم. انهم يفوتونا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۷

أَمْ حَسِبَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئات أَنْ يَسْبِقُونا

- قوله تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئات أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» أم منقطعة، و المراد بقوله: «الَّذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئات» المشركون الذين كانوا يفتنون المؤمنين و يصدونهم عن سبيل الله كما أن المراد بالناس في قوله: «أَحَسِبَ النَّاسُ» هم الذين قالوا: آمنا و هم في معرض الرجوع عن الإيمان خوفا من الفتنة و التعذيب.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠١

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا

- و المراد بقوله: «أَنْ يَسْبِقُونا» الغلبة و التعجيز بسبب فتنة المؤمنين و صدهم عن سبيل الله- على ما يعطيه السياق.
- و قوله: «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» تخطئة لظنهم أنهم يسبقون الله بما يمكرون من فتنة و صد فإن ذلك بعينه فتنة من الله لهم أنفسهم و صد لهم عن سبيل السعادة و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۱

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

- و قيل: مفاد الآية توبيخ العصاة من المؤمنين و هم المراد بقوله: «الَّذِين يَعْمَلُونَ السَّيِّئَات» و المراد بالسيئات المعاصى التَى يقترفونها غير الشرَک، و أنت خبير بأن السياق لا يساعد عليه.
- و قيل: المراد بعمل السيئات أعم من الشرک و اقتراف سائر المعاصى فالآية عامة لا موجب لتخصيصها بخصوص الشرک أو بخصوص سائر المعاصى دون الشرک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠١

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

- و فيه أن اعتبار الآية من حيث وقوعها فی سياق خاص من السياقات أمر و اعتبارها مستقلة فی نفسها أمر آخر و الذی يقتضيه الاعتبار الأول و هو العمدة بالنظر إلی غرض السورة هو ما قدمناه من المعنی، و أما الاعتبار الثانی: فمقتضاه العموم و لا ضير فيه علی ذلک التقدير.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۱

سورة العنكبوت

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٥)

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّه

- ثم قال «مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ» أى من كان يأمل لقاء ثواب الله.
- و قال سعيد بن جبير و السدى: معناه من كان يخاف عقاب الله، كما قال الشاعر: إذا لسعته النحل لم يرج لسعها «٢»

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٨٧

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ

- أى لم يخف ف (من) رفع بالابتداء، و خبرها (كان) و جواب الجزاء، كقولک زيد إن كان فى الدار فقد صدق الوعد. و قوله
- (٢) قد مر تخريجه فى ٢/ ٢١٠ و ٣/ ٣١٥ و ٧/ ٤٩١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٨٧

فَإِنَّ أَجَلَ اللَّه لَآت

- «فَإِنَّ أَجَلَ اللَّه لَآت» أى الوقت الذى وقته الله للثواب و العقاب آت لَا محالة و الله «هُوَ السَّمِيعُ» لأقوالكم «الْعَلِيمُ» بما تضمرونه فى نفوسكم، فيجازيكم بحسب ذلك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٨٨

سورة العنكبوت

وَ مَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ
إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ(٦)

وَ مَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يجُاهِدُ لنَفْسه

- يقول الله تعالى «وَ مَنْ جاهَدَ» أَى من جاهد نفسه بأن يصبر على ما أمره اللَّه به، و يعمل بسنته، و منه الجهاد، و هو الصبر فى الحرب على ما جاء به الشرع «فَإِنَّما يُجاهِدُ لنَفْسه» لان ثواب صبره عائد عليه و واصل اَليه دون اَللهَ تعالَى، لأنه تعالى غنى عن جميع الخلائق غير محتاج الى طاعاتهم، و لا غير ذلک.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۸

سورة العنكبوت

وَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٧)

وَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَات

- ثم قال تعالى «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بوحدانيته و أقروا بنبوة نبيه، و اعترفوا بما جاء به من عند اللَّه «لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» التى اقترفوها قبل ذلک. و من قال بالإحباط قال: تبطل السيئة الحسنة التى هى أكبر منها حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، كما قال «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» «١» و الإحباط هو إبطال الحسنة بالسيئة التى هى اكبر منها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٨٩

وَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَات

- و السيئة الخصلة التى يسوء صاحبها عاقبتها. و الحسنة الخصلة التى يسر صاحبها عاقبتها. و كل حسنة طاعة للّه، و كل سيئة هى معصية له تعالى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۹

وَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَات

- و قوله «لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذى كانُوا يَعْمَلُونَ» قال الجبائى: معناهَ أحسن ما كانوا يعملون: طاعاتهم للَّه، لأنه لا شىء فى ما يعمله العباد أحسن من طاعاتهم للَّه. و قال قوم: معناه و لنجزينهم بأحسن أعمالهم، و هو الذى أمرناهم به، دون المباح الذى لم نأمرهم به و لا نهيناهم عنه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۹

مَن كَانَ يَرْجُواْ لقَاءَ اللَّه

- قوله تعالى: «مَنْ كانَ يَرْجُوا لقاءَ اللَّه فَإنَّ أَجَلَ اللَّه لَآت وَ هُوَ السَّميعُ الْعَليمُ» إلى تمامَ ثلاثَ آيات. لما وبخ سبحانه النَاس عَلى استهانتهم بأمر الإيمان و رجوعهم عنه بأى فتنة و إيذاء من المشركين و وبخ المشركين على فتنتهم و إيذائهم المؤمنين و صدهم عن سبيل الله إرادة لإطفاء نور الله و تعجيزا له فيما شاء و خطأ الفريقين فيما ظنوا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠١

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ

- رجع إلى بيان الحق الذى لا معدل عنه و الواجب الذى لا مخلص منه، فبين فى هذه الآيات الثلاث أن من يؤمن بالله لتوقع الرجوع إليه و لقائه فليعلم أنه آت لا محالة و أن الله سميع لأقواله عليم بأحواله و أعماله فليأخذ حذره و ليؤمن حق الإيمان الذى لا يصرفه عنه فتنة و لا إيذاء و ليجاهد فى الله حق جهاده،

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٢

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ

- و ليعلم أن الذى ينتفع بجهاده هو نفسه و لا حاجة لله سبحانه إلى إيمانه و لا إلى غيره من العالمين و ليعلم أنه إن آمن و عمل صالحا فإن الله سيكفر عنه سيئاته و يجزيه بأحسن أعماله، و العلمان الأخيران يؤكدان العلم الأول و يستوجبان لزومه الإيمان و صبره على الفتن و المحن فى جنب الله.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۲

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّه

- فقوله: «مَنْ كانَ يَرْجُوا لقاءَ اللَّه» رجوع إلى بيان حال من يقول: آمنت فإنه إنمَا يؤمنَ لو صدق بعض الصدق لتوقعه الرجوع إلى الله سبحانه يوم القيامة إذ لو لا المعاد لغا الدين من أصله، فالمراد بقوله: «مَنْ كانَ يَرْجُوا لقاءَ اللَّه» من كان يؤمن بالله أو من كان يقول: آمنت بَالله، فالجَملة من قبيل وضع السبب موضع المسبب.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٢

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ

- و المراد بلقاء الله وقوف العبد موقفا لا حجاب بينه و بين ربه كما هو الشأن يوم القيامة الذى هو ظرف ظهور الحقائق، قال تعالى: «وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ».

الميزان فى تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۲

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ

- و قيل: المراد بلقاء الله هو البعث، و قيل: الوصول إلى العاقبة من لقاء ملک الموت و الحساب و الجزاء، و قيل: المراد ملاقاة جزاء الله من ثواب أو عقاب و قيل:ملاقاة حكمه يوم القيامة، و الرجاء على بعض هذه الوجوه بمعنى الخوف.
- و هذه وجوه مجازية بعيدة لا موجب لها إلا أن يكون من التفسير بلازم المعنى.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۲

فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ

- و قوله: «فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ» الأجل هو الغاية التى ينتهى إليها زمان الدين و نحوه و قد يطلق على مجموع ذلک الزمان و الغالب فى استعماله هو المعنى الأول.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٢

فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ

- و «أَجَلَ اللَّهِ» هو الغايةُ التى عينها الله تعالى للقائه، و هو آت لا رَيب فيه و قد أكد القول تأكيدا بالغا، و لازم تحتم إتيان هذا الأجل و هو يوم القيامة أن لا يسامح فى أمره و لا يستهان بأمر الإيمان بالله حق الإيمان و الصبر عليه عند الفتن و المحن من غير رجوع و ارتداد،

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٢

وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

- و قد زاد فی تأکید القول بتذییله بقوله: «وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» إذ هو تعالی لما کان سمیعا لأقوالهم علیما بأحوالهم فلا ینبغی أن یقول القائل: آمنت بالله إلا عن ظهر القلب و مع الصبر علی کل فتنة و محنة.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۲

مَن كاَنَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّه

- و من هنا يظهر أن ذيل الآية: «فَإِنَّ أَجَلَ اللَّه لَآت» إلخ، من قبيل وضع السبب موضع المسبب كما كان صدرها: «من كان يرجوا لقاء اللَّه» أيضا كذلک، و الأصل من قال: آمنت بالله. فليقله مستقيما صابرا عليه مجاهدا في ربه.
-

الميزان في تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٢

وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِه

- و قوله: «وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِه إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ» المجاهدة و الجهاد مبالغة من الجهد بمعنى بذل الطاقة، و فيه تنبيه لهم أن مجاهدتهم فى الله بلزوم الإيمان و الصبر على المكاره دونه ليست مما يعود نفعه إلى الله سبحانه حتى لا يهمهم و يلغو بالنسبة إليهم أنفسهم بل إنما يعود نفعه إليهم أنفسهم لغناه تعالى عن العالمين فعليهم أن يلزموا الإيمان و يصبروا على المكاره دونه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٣

وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِه

- فقوله: «وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِه» تأكيد لحجة الآية السابقة، و قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ» تعليل لما قبله.
- و الالتفات من سياق التكلم بالغير إلى اسم الجلالة في الآيتين نظير ما مر من الالتفات في قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» الآية.

الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٣

وَ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ

- و قوله: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ» بيان لعاقبةَ إيمانهم حَق الإيمان المقَارن للجهاد و يتبين به أن نفع إيمانهم يعود إليهم لا إلى الله سبحانه و أنه عطية من الله و فضل.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۱۶، ص: ۱۰۳

مَن كانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّه

- و على هذا فالآية لا تخلو من دلالة ما على أن الجهاد فى الله هو الإيمان و العملِ الصالحِ فإنها فى معنى تبديل قوله فى الآية السابقة: «وَ مَنْ جاهَدَ» من قوله فى هذه الآية: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ».
- و تكفير السيئات هو العفو عنها و الأصل فى معنى الكفر هو الستر، و قيل:تكفير السيئات هو تبديل كفرهم السابق إيمانا و معاصيهم السابقة طاعات، و ليس بذاك.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١۶، ص: ١٠٣

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللَّهِ

- و جزاؤهم بأحسن الذى كانوا يعملون هو رفع درجتهم إلى ما يناسب أحسن أعمالهم أو عدم المناقشة فى أعمالهم عند الحساب إذا كانت فيها جهات رداءة و خسة فيعاملون فى كل واحد من أعمالهم معاملة من أتى بأحسن عمل من نوعه فتحتسب صلاتهم أحسن الصلاة و إن اشتملت على بعض جهات الرداءة و هكذا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج١٦، ص: ١٠٣